ثقافة وأدب

اعترافك يا مالك بن الريب

يوسف الصائغ

ترحّل
كان القطا نائماً
والقوافل منعمة
هوّم النازحون لطول السرى ..
سوى فارس ، مايمام ...
وحيداً
يسيء هذا الدجى بسهيل.
تراه ...
(تهيل) اخطا
واستراحت على حلم. صهوة
وحيام ،
وساوسها الرمل بين حقولك
تمسي عليك عيون اليتامى ..
تشيع العواصم حين نسرّ ،
واترك وحدي ....
(يا صاحبي ، رحل
دنا الموت .. فانزل ... ...)
في حل الزيتون ،
حيث يوقظ الموتى ضياء البدر
وحيث تغنو بنفخي ،
مثل أيام العصر ..
فارحة ..
إلا من الرصاصة الاخيرة
ساكون بها ملكاً ،
واشم الموت شميم امرأة حمل بالولد البكر .
يكون الصب المصول وحامي .
وتكونين الليلة آخر دقات الساعة في زمني المحروم
اني .. لفرسان نبلت زيباً ،
وصرت ،
غصني الغدّ الى ترقوتي.
ترأيت الى سنوات العشق ،
وتذكك النسيان ؟
حلبيي الآن اذن
منتزياً ،
غربة يوسف في الجب ،
وفي السجن ،
واذ تغويه امرأة في قصر الحاكم ،

لكن
يا يوسف أعرض عن هذا ..
ها انذا أعرض .
صار السيف رغيفي ،
والقتل بين الكرم ومحصري
بين الظل وبين الشمس
أبيت أقيل أغاصات سيفي .
سأقيل آثار الخصر على رمحك

فماذا تشترطين ؟
دمي ؟
من المدور ؟
فيحمل شموعاً من مدينته ،
ومل ء العين زيتاً من خوابي العرس .
وسيمين بلا عدد ،
وشالا لعروس القدس ....
مباركة في النساء العصية ،
راحت تؤدي المثالا بها ،
وجازت حدود الخيام ،
ولاح الفضا ..
ومشت وعدة في الرمال قبيل المسا ..
سمعنا غناء الصبية :
هبت هبوب شمال مانة تمني
اني رأيت حدود القدس تدنيني
علي ..
بلغ الركب راية
فانزلا عند حوتي
أتيا على «مالك» ليلة ..
عاني رأيت غراباً على سكني غرسي
رأيت دماً ..
غلام اضطربت . وفرّ القطا في دمائي ؟
أبعد الذي كان ،
يوحش كالذئب وجهي .؟
وأفرد مغترباً بين أهلي ؟
سلاماً اذن ايها الفارس العربي ،
لقد أسرعوا حسكاً في قرابة روحك ،
واحضروا موضعاً لشكوك ،
فين جاءحي غراب ،
حدوجك يا بلدي
وحدود الخيام ...
ها ينتدي جسدي ..
أيها النازحون .. حدوكو اقتستي ..
تعالوا انظروا :
أي جب بين على مالك حين تدنو اليه ؟
من المنازل ..
عت كروم أبيكم
شار مايكم اطمستي الدامة .
رأيت التي لا أقول اسمها في (السبية) تبكي
سمعت ابني تنا :
حد حيمة يا أبي ..
فلاة المهاجر ملعونة ،
والطريق الى القدس ، جدّ طويل ...
(لقد كان في وادي الغضا لودنا الغضا .. مزار

ولكن الغضا ...)
أحس ابي .
والقدس ،
في كتبه مهجورة ،
فلاحب .. ولاعاده
كأنما الطواء ، لم تلد بها المسيح ذات ليلة .
أو انها ،
من بعد ما استوى نبياً ..
أنكرت ميلاده
(قلت الغضا والاكل لم ينبتا معاً فان الغضا والاكل قد فلايا)
ثم اختلت ...
عملوا الياقوت على حمل ،
والتمع الموت سواراً .
يا سجني ..
ماذا تشترطين على العشاق ؟
ان تحتمي ،

بيت حمدي أتلا
وعصاً ...
تدبرت ذاكرة المسافر
بين الفضا والخيام
تكون الرمال قماحي ،
وتفصل عني عيون المرابين ،
عادوا
حلاجهم شهة في تعامر الشهود
واداك يغنو الغضا بين روحي
وبين عتادقهم
مهرة
وسبيل الصهيل
عل راحتي زبداً
تشربون ؟
أبيع الصهيل ...
اعاوص في النكبات ...
أشمّ بادقكم
وأمدّ لكم من لحامي طريقاً
(حداني فحراي يبردي اليكما
فقد كنت قبل اليوم صعماً قياديا
وقد كنت عطاناً اذا الخيل ادبرت
وقد كنت ...)
في دمي ظمأ قماء
ايها الرحال في مخيم الوحدات والحنين
اريد أن اسكن في خيامكم
وأن اكون مؤمناً
بلدغ مرتين ...
.....

الموتُ
تنض في رحم الارض خبايانا :
حيّانا الحجل تحت الرمل ،
قلنا يبورق الزيتون ..
تعالوا أيها الاحباب ،
عندي قمر مدفون ..
يراقني في المساني ...

يبارك لي قلقي واعترافي .
وهت له فرسي وظلي
وساومت بين الهدى والضلال
وقالوا : ترحل ! !
ترحلتُ ..
كان القطا نائماً
والذي فوق سفحي
مسحت الندى بثيابي
عبرت الى حمدي ..
ورأيت منازلكم ..
أيها وحشة يا تراب بلادي أقاتل ..
ان يدي تحاورني ...
قلوني ثلاثاً ..
ولكني لم أمت
ان «مالك» يشترط الكبرياء ،
اشترطت أموت بلا ندم ..
كنت أحلم ،
ان المية ليست مزار المهاجر
أو منزلا للغريب ...
فلا تبغوني لكم بطلا ..
انني رجل ،
حرضته الرمال على نفسه .
فهو يسألكم ..
من يطيق الاجابة في مدن الاحتلال؟
يجيب القطا ..
والحجول التي صدئت في دمي تشرقب
أنا .. يا بني مالك ،
مسلم العراء ،
أدافع عن جسدي لدغة ،
ان تمتني ..
بيت بالخيان فوارسكم ...
ويبدل الغضا ...
(أقول لاصحابي ارفعوني .. فانني ..)
أكون في مخيم الحسين حبيبك ،
طفلا يبكي ..
يذبح مرتين ...
وعندما يطلب منه أن يموت مرة أخرى ..
يرفع اصبعه ...
...
...
..
فلئن كنت تطيقين الموت معي ،
فاحتلي الموت تباق أبيك ،
وشدي الردتين ...
فها انذا آت ...
لم أطر جاحماً عنك .
ومر لسري .. وصليي ..
كالكرمة تتكئين على كتفي .
وتكونين قراب السيف على حقوي ..
أشم امرأة فيك تراودني ..
وحياً ..
هو الاسمر مثل القمح
والمرهف كالسيف ..
يمر بابنا حلواً ..
فلا يدي .. ولا يخفي ...
....
....
تعبتُ
وجرّبني في انتمالي القطا
وحبي سهم ...
مثل حل الحنين ،
أنا مرهق ،
بين رفضي لكم ..
وحبيني ... اليكم ..

لهذا أموت ..
يبيع القطا من قوادمه ..
تحويني الرمالُ الظمئة تحت سماء الصحارى ..
تمددت في الوطن العربي ..
اعال على جسدي خيمة
ورأيت بلادي تنحر فوق جراح الضحايا ..
أنا الخيمة الألف ..

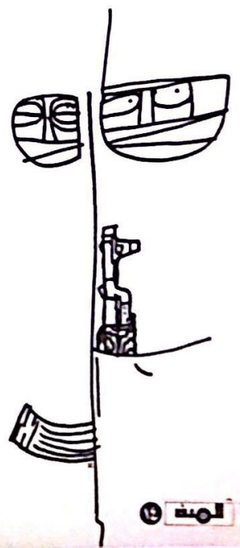

يوحشُ وجهي امام المرايين
اصدقُ .
اكذب .
أصدقُ .
اكذبُ .
مثل وجيب المرجة ،
بين الهدى والضلال
البيتُ ..
تشابه في مقتلي بينكم ،
انني ابتعتُ
أو بعتُ
ياصاحبي فرسي ..
ان يأس الفوارس جد مريبو
ويأساً كياسي
يطيق النزوة والقتل والكذب ..
فلحملواني ..
خذاني الى حاكم
وليكن سكماشاهدان على «مالك»
ان «مالك» يشترط الكبرياء
اشترطت بلا ندم اخلي ..
فكأني اذا عدت ،اسلك نفس الطريق
(قلبت الغضا لم يقطع الركبُ عرضه ...)

لقد تركتْ كل ما في الروح من مياه
وكنت اشتهي جدارة النهر على بحراه
لكنا ..
ظل السؤال الصعب
اذ كان هذا الخيل لايضرني في الدروب
من يقتضيني أن اعاوده المنح
أو أراوح المصعبُ ؟
شفة أخرى غير الموت
قاضيتُ حبيبي ..
وقبح تشهاي
كنتُ ذيول الخارج من صوته الاول
تشاقى في الذروات ..
وما من سيف
هذا زمن الصب الاسود
والفدارات السود ...
فاجتمعوا ..
ملحنا القراد لكم ..
وسكبنا الماء على اعقاب الباب
عداة عرجتم ..
زمنُ الفرسان سروجهم القصب
وعيون الفارس
خرُ القدس

ونزهته النصبُ
تأتيه الخوفُ بين تواجده
فيحنُ :
حيب القلب .. تعال .. ولاتأت
زيتا من أجلك ابواب البيت
لكنا لم نترك خلف نوافذه
غير الوحشة والموت ...

....
....
أحبُ
تزودتُ كالقص
سيفاً
وخيزاً
وجرعة ماء

وسادةُ حبي ..
اشتاقُ ..
ولكني ما زلتُ اكابرُ
زيتي زمن الهجرتو
والضبير الاسود
ساعلق عند الباب الدم القروي
أسفرُ
أسفرُ
أ ـ ....

... فرّ ، ما المسا ...

كم قتيل له تمني باصحابي
كم قتيل له صدق قلبي اذا اقتل الموتُ ..
فتساءلوا رجلاً :
حرضه الهزامة ،
ان يتمرد في ساعة الدفاع
ازعاء القبائل ..
لا تقتلوا الشهداء ...
...
اموتُ اذن ؟
والقطا كحله تمني ؟ .
والغضا يردت راحتاهُ على راحتيا ...

واتمم ...
نجيئون باسم الحضارة ،
تفرحون على «مالك»
ان يكون شهيداً ...
وتمسي عليك عيون اليتامى
تدقُ على جسدي ساعة في الميادين ...
اسمع صوت مدفع يسير وراء الحارة .
تأحلني سورة من رثاء لغمي فاتكي
(تذكرت من يبكي علي .. فلم احد سوى السيف ..)
كان الغضا صوب راسي غداة عرجتم ،
وكتم شمال يدي لغة القيامى :
(يقولون لا تعد .. وهم يدفنوني)
عمحت لكم باقاة القلوب
عمحت لطيئ قلبي
لان الغضا لم يباشر الركاب الى ساعة الموت..
كان الغضا حلماً واغتُ
رأيت احتضاري على اذني ناتي .
وسمعت حذاء لرفاقكم يزدريني
(فلا تحداني بارك الله فيكما)
خذاني الى الكاتب العدل ...
ولتشهدا
ان مالك ..
يعترف الان بين يدي عصره
اعترفوا
اعترفوا
اعترفوا
ايها الحاملون عذابكم ..
انني وطن المتعبين الذين ،
يصون وحشة هذا الزمان !

يوسف الصائغ

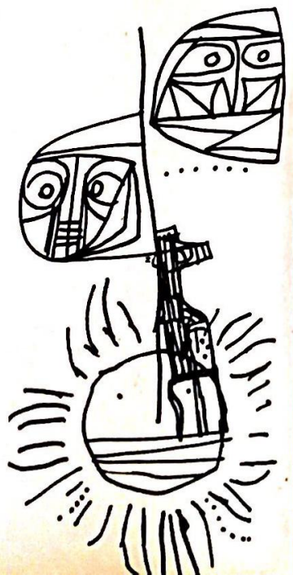

ستة وضاح المعاصرون

في ١٤-٢-٧٢ افتتح كاليري «كوناكت» في شارع الحمراء ببيروت ، وقدم منظم الكاليري وضاح فارس ٦ فنانين لبنانيين معاصرين هم : سلوى روضة شقير ، منير عيدو ، امين الباشا ، حليم جرداق ، هلن الخال ، عارف الريس . كاول عرض تدشن به قاعة العرض نشاطها .

● حليم جرداق : بعد تاريخ جيد من دراسة الرسم والتجارب المكثفة ، يقدم حليم جرداق مجموعة منوعة من اعماله (يعرض بعد ايام اعماله في الكاليري بشكل مستقل) ، الى جانب رسوم الحفر على النحاس والطبع والرسم بالزيت ، والاقلام التلوين يرينا حليم رسوما جديدة منفذة بالحبر على الورق ، وفي كل مساحات عمله نرى رزانة التجربة التي يعتمد عليها واضحة واثقة . ان حليم جرداق ، الذي لا نستطيع خلال اعمال قليلة ان نكوّن فكرة متكاملة عن توجهاته ومدى نجاحه في انجازها ، يعطينا برغم ذلك الثقة فيه وفي امكانية التعامل معه بصدق .

● امين الباشا : التناول الجريء للمنظورات يعطيه حرية التنقل من سطح الى اخر ومن مادة الى اخرى بعافية جيدة ، امين رجل متحرر من عقد الالتزام باسلوب محدود ذو افق مطلق ، اعماله فيها من النقاء بقدر ما فيها من قوة الصنعة ، انه متمكن من اختيار السطح الملائم لافكاره الطرية والصلبة في آن واحد .

● هلن الخال : بيد وان تنوع وتعدد امكانية استخدام الالوان في سطوح غير محددة يجعلها تسرف في تقديم انطباعاتها المبنية على اسس تناسب الجو المصب الذي يغمر لوحاتها . اللون ودرجة النور فيه وعلاقته بالوان اخرى متضادة او منسجمة هو هاجس هلن الاساسي . انها لعبة مغرية لا يمكن الافلات منها بسهولة ، في نظري هلن تفلق من امكانية التحول الى جانب اخر في النظر الى العلاقة بين الالوان والسطوح ، على اية حال ، انه عالم خاص صغير يلامس المشاهد برفق وينطبع في ذاكرته خفيفا ، تماما مثلما هي اعمال هلن .

● سلوى روضة شقير : في النحت تاتي ثقة الانسان بضرورة تجسيد الفكرة في مادة ما . سلوى واثقة من هذه الضرورة الى حد عدم الاهتمام بالانصراف الى التعامل مع مادة واحدة فقط ، لها قطعة (ثقيلة) من الحديد وقطعة من الخشب ، اضافة الى رسوم ملونة على الورق ثم بساط مشغول بتصميم لها ، تبدو سلوى مرتاحة الى التجول بين مواد مختلفة تطرح عليها افكارها المتناسقة ، من ناحية التشكيل ، والبسيطة .

● عارف الريس : عدة اساليب في لوحات متعددة ، من الصعب ايجاد خيط بينها ، لا نستطيع ان نتهم عارف بالضياع بقدر ما نتهمه بالتطرف ، تبدو اللوحة بالنسبة لعارف لا اكثر من فعاشة تستقبل نزوات الرسام المتطرفة المتردة في قوتها وضعفها دون تبرير لطبيعة هذين القطبين ، الذين يعرفون عارف الريس بامكانهم ان يتساءلوا : ترى هل من جديد عنده غير الازهار ؟.

● منير عيدو : قطع معدنية صغيرة تحاور بعضها كمصافير غافلة ، لا تقل قوة التشكيل ولا قاعدة صلبة للانطلاق ، كل قطعة تبدو على حدة فقيرة لا جذر لها بالزمان او المكان ، وهي ازاء هذا ليست بالعمق الذي يتيح لها تلخيص حالة او تكثيف ظرف استثنائي ، يصعب النظر الى اعمال منير عيدو المعروضة بشكل متكامل ، ان اعماله تبدو وكانها تنتظر النظرة الاخيرة من عين المشاهد لتعود الى وجودها الهش الفاحل .

□ امين الباشا □

.. والفرنسي المبدع

في « كاليري وان » وابتداء من ٨-٢-٧٢ قدم برنارد دو شاتينوا مجموعة من اعماله ، ان هذا الشاب الفرنسي ينقل حيويته الى رفائق المعدن وبثبتها دون قلق على الخشب المسود . وهو ، لانه واثق من تجاوبه المعدن مع يده ينظر الى التشكيلات المتناسقة هندسيا ، المنسجمة مع نفسها ، دون شك في مقدرة التجربة على تاسيس (شكل) واضح من اشكال التعامل مع المواد (الموجودة) ومع تلخيص رؤيا منها بواسطة مواد اخرى اكثر مباشرة .

قال شاتينوا لاحدى صحف بيروت انه رأى اللبناني كما لو كان يعيش خارج الزمن ، ان لنا بمهارة يحسد عليها حوارا من نوع خاص حدود وهي شاتينوا العصرية تتسع اذ ينقل بين كل قطعة واخرى ، ان اعماله المعلقة على جدران كاليري وان اشبه بمناقشة متجددة ، واضحة ، حول ضرورة ما ، (لا اؤمن ان هذه هي وظيفة العمل الفني كما يفهمها الفنان او انا بل ان لمجرد الربط (المشروع) بين عمل فني وضرورة تنتظر اضافة جديدة او مناقشة ، لمجرد هذا يصبح العمل الفني ذاته ضروريا) . اعمال شاتينوا دليل شديد القلق على حيوية الفنان كمبدع ومنفذ ، ان ابجدية الفنون التشكيلية واضحة وتفرع منها خطوط عديدة تضيف الى الابداع السابق شيئا جديدا او توضحه او تلغيه .

ابراهيم زاير

خيري حماد

الصديق والكاتب والمناضل خيري حماد تولى تاركا لنا ثروة من الكتب والالاف .

لقد مات المترجم الذي نقل الى اللغة العربية العديد من الكتب الاجنبية ، وهو بذلك قدم خدمة ذات فائدة عظيمة للقارئين من العرب .

خيري حماد واحد من خدام الثقافة المخلصين ، وجهده الذي يستقر الان على رفوف المكتبات ينتظر اصابع التلقي ساهم كما ساهمت جهود الاخرين في الوطن بشكل عربية جديدة خلاقة ومبدعة .

ينبغي ان نتذكر خيري حماد بالتقدير الذي يستحق ، لقد فقدنا بوفاته واحداً من اخصب المنتجين ، وصديقا مناضلا في سبيل الوطن .

« الهدف »